تعليم الانشاء (١)

للأستاذ عمر الدسوقى

توطئة : تعد ملكة التعبير فى الانسان أرقى ملكاته ، لأنها مظهر انسانيته ، وكلما ارتقت فيه هذه الملكة أمعن فى معنى الانسانية ؛ والتعبير والتفكير متلازمان فلا ألفاظ الا وهى تحمل فى ثناياها فكرة ما ، ولا تفكير الا وهو مصوغ فى عبارة ما ويقول علماء النفس والمنطق : ان التفكير من غير ألفاظ ضرب من الوهم الكاذب وقد قال « مكس ملر » : ان الفكرة واللغة شىء واحد ، وشبه ذلك بالنقد ، وليس ما نسميه بالفكر الا وجها من وجهى النقد ، والوجه الآخر هو اللفظ . والنقد شىء واحد لا يقسم فليس ثمة فكر وصوت ولكن كلمات .

والهدف الذى نرمى اليه من تعليم اللغة بفروعها المتباينة هو تقوية هذه الملكة عند الناشئة ؛ حتى يفصحوا عما يجول فى عقولهم من فكر وفى نفوسهم من عاطفة بسهولة ويسر ؛ ففروع اللغة من أدب ونحو وصرف وبلاغة ، وقراءة روافد تمد ملكة التعبير عند الطفل كى يعبر عن المعانى فى سلالة ووضوح وقوة ، وبعبارات سليمة المعنى ، رشيقة اللفظ جيدة الخيال .

وليست هذه هى مهمة درس الانشاء فحسب ؛ بل تمشيا مع القاعدة التى قررها علماء النفس : من أن التعبير والتفكير متلازمان نرى درس الإنشاء وسيلة قيمة لتعويد التلميذ الدقة فى التفكير ، وكيف يختار أحسن المعلومات وأصوبها حين يكتب الموضوع ، ثم انه ينمى فيه القدرة على تركيز عقله فى نقطة بعينها ، وكيف يعطى حكمة مؤيدا بالبرهان بعيدا عن التحيز ، وهذا ولا ريب عظيم النفع فى شتى شئون الحياة ، وغاية نصبو اليها فى تخريج ناشئة غير جامحة التفكير أو مختلة موازين الحكم .

---

(١) محاضرة ألقيت فى نادى دار العلوم فى ١٩ من يونيه سنة ١٩٤٣ .

وقبل أن أتكلم عن الطريقة التى نحقق بها هذه الغاية ، لابد من تقرير مشكلة جعلت تعليم اللغة عندنا صعبا غريبا فى بابه لا مثيل له عند الأمم التى عالجت مشكلة اللغة وتعليمها . هذه الصعوبة تنحصر فى أن اللغة العربية ليست لغة المنزل والشارع والملعب ، ولا لغة بقية الدروس التى يتلقاها التلميذ من أساتذته الآخرين ، وإنما هى لغة الكتابة والقراءة ودرس اللغة العربية فحسب ، ولو كان التلميذ يسمع منذ حداثته لغة صحيحة سليمة لخفف عنا العبء كثيرا ، ولكن هذه اللهجة التى يتخاطب بها والتى يسمعها فى كل مكان إلا فى درس اللغة العربية مفرق كبير عن إتقانه هذه اللغة ، فليست اللغة العربية غريبة أجنبية عن هذه اللهجة حتى نعالجها معالجة اللغات الأجنبية، وليست اللغة المتداولة فى كل مكان حتى تطبق عليها القوانين التى قررها علماء أوربا فى تعليم لغاتهم لأبنائهم . ويخيل للتلميذ أنه يعرفها ويحاول أن يكتب كما يتكلم أو قريبا مما يتكلم فتأتى كتابته مشحونة بأخطاء عظيمة نحوية ولغوية، وحين يرى قلم المدرس قد ضرب على أكثر ما كتب يدب اليأس فى نفسه ويعتقد أنه لا قبل له بهذه اللغة فتزداد أمامنا المشكلة وتتجسم .

هذه هى مشكلتنا التى علينا أن نواجهها بصراحة ونحاول معالجتها بطريقة علمية تنطبق مع مدارسنا ولغتنا وطبيعة التلميذ الذى نعلمه، لا بطريقة مرتجلة ومجرد اقتراحات تلقى من غير تمحيص . ولا بد أن نسترشد بتجاريب علماء التربية وما وصفوه من القواعد العامة، وبتجاريب المدرسين الذين مارسوا المهنة سنين عديدة، وبحياة نوابغ الكتاب وكيف ملكوا زمام الكتابة .

ولقد حاولت أن أعثر على كتاب واحد باللغة العربية عولجت فيه مشكلاتنا اللغوية خاصة والتعليمية عامة فلم أجد . مع أن هناك عشرات الكتب فى كل لغة من اللغات الحية تبسط الصعوبات التى تقف أمام الناشئة وتحول بينهم وبين السيطرة عليها، وفى هذه الكتب كثير من العلم والحقائق والتجارب والاخلاص والعمل المثمر على خدمة اللغة والنهوض بها . فهل آن الأوان يا ترى لنقدم إلى لغتنا وإلى أبنائنا شيئا من هذا ولا ندع كل معلم يرتجل الطريقة التى تعن له .

درس الانشاء : الانشاء فكرة وتعبير ، فالفكرة إن لم تكن مجلوة واضحة

محدودة فى ذهن الطالب استعصى عليه تبيانها، وإبرازها، واللفظ ان لم يكن لفق المعنى جيدا مألوفا أخفق فى أداء مهمته ، والأسلوب ان لم يكن واضحا جذابا طلياً نفرت النفوس منه ويقول R.L. Stevenson « إن صعوبة الأدب ليس فى أن تكتب ولكن أن تكتب ما تعنى »

إن الطريقة المثلى فى تدريس الانشاء هى الطريقة التى تعلم بها الانسان الكلام، فلم يولد مزوداً باللغة كما زود بالجوارح والحواس ، ولكن أخذ منذ حلت عقدة لسانه وحاول النطق يقلد من حوله ويلتقط الكلمات ويفهم مدلولاتها ثم يستعملها فى التعبير عن أغراضه بنفس الطريقة واللهجة التى استعملها من هو أسن منه ومن تلقن عنه

كانت الكلمات الأولى التى التقطها هى الكلمات الضروزية جدا له والتى تمت الى الحس، ثم أخذت تنمو وتتدرج وتتنوع . هذه هى الطريق الطبيعية التى يسلكها الانسان كى يعبر عن نفسه ويساعده على ذلك ما فيه من غريزة التقليد والمحاكاة وحب الاستطلاع ؛ ولا تعدو طريقة تدريس الانشاء هذه الخطوات .

لغة الكتابة غير لغة الكلام . إذاً فالطالب أمام لغة جديدة لها قوانينها وألفاظها وقواعدها يريد أن يتعلمها . هو فقير فى هذه اللغة لا يملك منها إلا ألفاظا محدودة لا يعرف كيف يستعملها . ولما كانت سنه وتجاربه لا تؤهلانه أن يملك كثيرا من الأفكار تراه كذلك فقيرا فى الفكر يحتاج إلى أن نزوده بها كما نزوده باللفظ الذى يعبر عنها ، وبالأسلوب الذى تصاغ فيه هذه الألفاظ حتى تكون أداة تعبيره صحيحة مفهومة لغيره من الناس وعلينا أن نستعين بغرائز التقليد والمحاكاة وحب الاستطلاع، وأن نعوده دقة الملاحظة والأناة فى التفكير ، وأن نستخدم الذاكرة فاللغة كما يقولون توفيقية يأخذها الانسان عن غيره فلابد من الحفظ الجيد ، ولغتنا العربية بحر خضم كثيرة المترادفات ، متنوعة العبارات قادرة على الأفصاح عن دقيق الفكر وعويص المعانى ، بيد أنها تحتاج إلى صبر وأناة ، واطلاع وحفظ حتى يمتلك المرء ناصيتها ويذلل غاربها وتصبح أداة طيعة مرنة فى يده ولسانه، ولاسيما والدرس والقراءة هما المصدران الوحيدان لها إذ لم تصبح بعد لغة التخاطب فتخفف عن

الطالب كثيرا من حفظ الكلمات . ولدرس الإنشاء خطوات :

اختيار الموضوع : موضوع الانشاء يصح أن يتناول كل شيء فى الحياة وتقول ايزابل ينج Isabel young فى مقدمة كتابها المرشد العام للانشاء الانجليزى : « إن كلمة الانشاء بمعناها العام تشمل كل فروع اللغة من الجملة المتقطعة التى ينطق بها الطفل الى القطعة الفنية التى يسطرها الفليسوف أو الكاتب أو الروائى. الانشاء وسيلة التعبير عن شعورنا ورغباتنا وأفكارنا ومعلوماتنا وإظهارها لغيرنا » ويقول مستر w. H. Low و John Briggs مؤلفا كتاب مقرر شهادة الدراسة الثانوية الانجليزية (عمليا كل موضوع يصح أن يكتب عليه التلاميذ) ويقول Gey Proock جاى بروك مؤلف النثر الحديث فى اللغـــة الانجليزية (ان اتقان موضوع الانشاء من أصعب الأمور ، لأنه وان كان يغوص الى أعماق الطبيعة الانسانية ويشمل كل ما يلاحظه الانسان إلا أنه محدود الكلمات) ويقول:(ان أهم نواحى الحياة والفكر تعالج فى دروس الانشاء) .

لقد استشهدت بهؤلاء لأن هناك من يقول:ان موضوع الانشاء يجب أن يكون من اختيار التلميذ ومن الأمور التى يحس بها ويشعر بميل الى الكتابة فيها ، ويتهكم على من يطلب من تلاميذه أن يكتب عن وصف مصرف مالى أو معركة حربية أو خبر كتاب قرأه،ويقول لم يكتب التلميذ عن هذه الأشياء ؟ وهو لا يشعر تجاهها بأى شعور ولم يخطر على باله أن يفكر فى الكتابة عنها . ألايحسن أن تتمشى مع رغباته ؟

— ان هذه الكتب التى استشهدت بها ، وغيرها كثير قد تقدمت بموضوعات شتى:فى الوصف والتاريخ والمخترعات والحوادث والأمثال والحكم . ولأضرب هنا بعض الأمثلة . أكتب عن الموضوعات الآتية :

١ — حياة John milton مؤلف الفردوس المفقود وأخلاقه ٢ — عن حياة الشاعر Wordsworth ٣ — عن حياة القائد نلسن ٤ — عن القرن التاسع عشر

او اكتب عن الموضوعات الآتية:البرلمان ، المصرف ، التعليم ، التعليم الفنى ، الكهرباء واثرها ، وسائل النقل فى القديم والحديث ، والمعارض

أو اكتب عن الموضوعات الآتية:زيارة لكنيسة كذا ، عاصفة ، رحلة بحرية

اهل الصين ، حياة المعلم : آماله ومتاعبه ، مهمات الملك الدستورى

أو اكتب عن الموضوعات الآتية : الحرب ، التعاون ، الخيانة ، الوطنية ، الهجرة ، الأخلاق ، الواجب ، الذاكرة ، النصر ، الصداقة ، المسرح ، الضيعة الرفق بالحيوان

أو عن الامثلة الآتية : (القديم يخلى مكانه الحديث) (العبد يدبر والله يقدر) (العالم كله مسرح)

(الخيانة لاتنجح ابدا ، واذا نجحت لا تسمى خيانة)

الى غير ذلك من الموضوعات التى تتناول الماديات والمعنويات ، وكل ما يمكن ان يكتب عنه

ان من يقول بترك اختيار الموضوع للتلميذ لايلبس الواقع ، فالتلميذ جاء ليتعلم وذهنه خال إلا من افكار ناقصة ، غير منتظمة، وقد لايحس بأى رغبة للكتابه ، ان هذه الحريه التى يدعون اليها حرية وهمية ومدعاة للعبث والإخفاق، اذا اختار كل تلميذ موضوعا فكيف يستقى معلوماته وهل يتمكن الأستاذ من معاونة جميع التلاميذ او سنترك لهم الحريه كذلك فى كتابة ما يشاءون وبأى عبارة تتهيأ لهم ؟ وما فائدة المدرس حينئذ ؟ وهل تنمو معلومات التلميذ وتنتظم ؟

ولست ادرى أى نظرية تربوية هذه، ومن قال بها ،وفى أى المدارس جربت ؟ أغلب الظن أنها خيالات شاعر يهيم بالحرية والمحافظة على الشخصية ويود لو يرى الناس جميعا يعيشون كما يشاءون لايعرفون نظاما ولا قانونا

إن اختيار الموضوع أيها السادة يجب أن يلائم عقل الطالب وسنه ومقدرته على الكتابة ، وأن يمت الى بيئته أول الأمر، ولا يكون مبتذلا مطروقا حتى لايستثير فى التلميذ التشوق الى معلومات جديدة وأفكار ليست عنده وهنا تستخدم غريزة حب الاستطلاع ، ولا يكون صعبا يستغلق عليه فهمه والإفاضة فيه، أو يكون اكبر من متناول عقله ومعلوماته، فالموضوعات الوصفية تلائم صغار التلاميذ ، ثم يتدرج منها الى الموضوعات الاجتماعية ثم الخلقية ، ثم المعنوية. والموضوع الجيد هو الذى يبعث فى الطالب روح التفكير ويحفزه على تنمية معلوماته وربط الأسباب بالمسببات، أو هو

الذى ينمى خياله،أو يشع فى نفسه القوة،أو يعوده دقة الملاحظة والتعرف الى بيئته أو يعالج داء اجتماعيا ومرضا خلقيا ، أو يثيرفيه الحمية الوطنية . ففى درس الانشاء مجال واسع لتهذيب الذوق وتثقيف العقل وتقوية الروح وبث الفضائل وتقويم الخلق وتنمية المعلومات،لان ما يكتبه الطالب ويعمل فيه فكره ينطبع فى نفسه ويقر فى ذهنه،ويصحبه فى حياته،ويدافع عنه كأنه جزء من عقله وتفكيره

فالموضوعات التاريخية يدخل تحتها : التراجم ، أوصف عصر من العصور ، أو حادثة تاريخية أو عادة من العادات.والكتابة فى التراجم يجب أن تراعى المؤثرات العامة فى حياة المترجم وأخلاقه وإنتاجه ،كدراسة بيئته الأولى ، حالة البلاد فى عهده ، المجتمع ، الوراثة .

ثم نتكلم عن إنتاجه إذا كان كاتباً مثلا ونقسمه عادة الى ثلاثة أقسام تبعا لحياته: الدور الأول والوسط والأخير،ثم نتكلم عن موته وأخلاقه ونلخص أعماله، ونعطى بعض الأحكام العامة عن إنتاجه ومخلفاته.

أما التكلم عن عصر من العصور فيجب أن نتكلم عن الحوادث الهامة التى تتعلق ببلادنا ، وإذا تكلمنا عن حادثة تاريخية ذكرنا أسبابها القريبة والبعيدة وما ترتب عليها

والموضوعات الوصفية: تشمل وصف الأمكنة أو المقاطعات،ووصف الحوادث التى وقعت للشخص،اوصف كتاب استحسنه أو حفل حضره،ثم الموصوفات العامة. ويراعى فى كتابة موضوعات الوصف أن يكون الوصف واضحاً وأن يعطى صورة عن تأثير الموصوف فى نفوسنا ، ولهذا يجب ألا ندخل فى كثير من التفصيلات . وموضوع الوصف يتكون عادة من خمسة أجزاء

١ — مقدمة — ٢ — تاريخ إن كان — ٣ — وصف عام أو الشعور الأول
٤ — وصف الاجزاء — ٥ — الخاتمة

والقصص على أنواع : خرافات ، ورمز ، وحكاية ، ولكل منها قواعد عامة أخشى أن يطول بى المقام لبحثها

وهناك الموضوعات التقريرية كتقرير عن اجتماع ، أو مباراة ، أو افتتاح برلمان

وهناك الموضوعات الاجتماعية وتشمل القضايا التى تشغل بال الأمة، أو الظواهر الجديدة من عادات واقتصاديات واصلاحات يطلب إدخالها

وهناك الموضوعات الأخلاقية وهى كثيرة معروفة

وهناك الرسائل وبعضها للاصدقاء او طلب عمل او رسائل شكر او تعزية الخ

وهناك الموضوعات المعنوية والامثال والحكم . . الى غير ذلك

العناصر : وتشمل الفكر العامة التى يجب ان يحتوى عليها الموضوع وترتب حسب أهميتها . ان هؤلاء الذى نادوا بحرية التلميذ فى اختيار الموضوع نادوا كذلك بان يترك التلميذ ليبسط العناصر بنفسه دون مساعدة من الاستاذ ، وهذا طبيعى لان الاستاذ لن يستطيع أن يعالج ثلاثين موضوعا فى وقت واحد . ولو أخذنا بطريقتهم تلك لوقفت معلومات التلميذ اللغوية والفكرية حيث هى، مادام لا يمده معلمه بالفكرة. ان استنباط العناصر له أهمية عظيمة ١ — اذ يعود التلميذ دقة الملاحظة ٢ — ويقوى فيه حسن التفكير وضبطه ٣ — ويعلمه كيف يضوغ الفكرة فى الفاظ قليلة ٤ — وينمى معلوماته، ويعلمه كيف يسير فى أى موضوع يطلب منه الكتابة فيه، وما الأشياء الهامة التى يجب أن يتكلم عنها .

وعلى المعلم أن يفكر فى الموضوع قبل الدرس تفكيراً جيداً، وأن يقرأ عن الموضوع ويدون العناصر التى يراها ويرتبها حسب أهميتها شاملة محدودة واضحة ولا يترك نفسه للظروف ولأفكار التلاميذ ، ولا يعتمد على ذكائه ومعلوماته العامة إذ أن أفكاره هذه، طيبة كانت أو رديئة ، ومعلوماته، وافية كانت أو ناقصة ، ستوضع فى عقول التلاميذ وهو مسئول عنها. وليس المقصود من تحضير المدرس للعناصر أن تشل حركة التفكير عند التلاميذ وأن يلقيها عليهم إلقاء ، بل يطالبهم بالتفكير فى الموضوع واستنباط عناصره الأهم منها فالمهم ، ويرشدهم حين إجابتهم إلى العناصر الرئيسية والثانوية، كى يمنعوا النظر فى الموضوع ويتعودوا الوقوع على الفكر الأساسية وإذا خفيت عليهم فكرة بينها لهم ، وإذا أتى أحدهم بعنصر ولم يستطع صياغته مهد له المعلم الطريق كى يحسن صياغته ويتعود ذلك .

إن هذه المرحلة فى الدرس من أهم مراحله، فعجز الطلبة فى الإنشاء ناشئ إما عن

غموض الفكرة فى أذهانهم، أو أن معلوماتهم غير مرتبة وغير وافية، ولكن إذا تمكنوا من فهم الموضوع فهماً صحيحاً وانجلت عناصره الأساسية فى أذهانهم ذللت أمامهم صعوبة كبيرة ولم يبق إلا العبارة .

إن معلومات المدرس، ولا شك، أوفى وأكمل من معلومات التلاميذ ، وتفكيره أنضج ، وعباراته أقوم من عباراتهم ، ولذلك فمهمته فى هذه المرحلة أن يراقب تفكيرهم ويصحح أخطاءهم ومعلوماتهم ويمدهم بما يحتاجون اليه حتى لا يدع فرصة للشرود عن الموضوع أو تصيد المعلومات، ما يمت منها اليه وما لا صلة لها به .

بعد ذلك يطالبهم ببسط هذه العناصر وربط بعضها ببعض . والغرض من كلامهم هو دعوتهم إلى التعبير عن المعانى التى استقرت فى أذهانهم والأفكار التى تخطر لهم وامتحان معلوماتهم وقوة ملاحظاتهم ، ومعرفة قدرتهم على صوغ الكلام الصحيح

ويحسن أن يتناول كل عنصر على حدة حتى يحصر التلميذ تفكيره فيه ، وهنا تجد صعوبة أمام التلميذ إذ يجد المعنى واضحا فى ذهنه ولكن العباره تخونه، أو يعبر عن المعنى تعبيراً سقيما مملوءاً بالأغلاط النحوية واللغوية، أو يأتى بمعلومات تافهة فى جمل قصيرة مبتورة . هنا يبين المدرس للتلاميذ مواضع أخطائهم ويريهم عجزهم، ويشوقهم إلى عباراته الصحيحة ومعلوماته الفياضة الكاملة .

ومن ثم يصوغ المدرس الموضوع نقطة نقطة بأسلوبه الجزل ، وعباراته الحلوة وألفاظه الرشيقة المنتقاة ، مفتنا فى التعبير عن المعنى الواحد بأكثر من عبارة حتى يدع للتلميذ الاختيار .

إن التلميذ كما ذكرنا آنفاً فقير فى الألفاظ والأساليب كما هو فقير فى الأفكار والمعانى ، ولقد عاب بعضهم الطريقة التى تمد التلميذ بالعبارة والأسلوب، وقالوا: إن فى ذلك قتلا لشخصيته ، ولا بأس من أن نزوده باللفظ المجرد دون العبارة ، وفى هذا الرأى عدة أخطاء يجدر بنا تبيانها : فاللفظ المفرد لا قيمة له إلا فى جملته ، وقد يعرف التلميذ الكلمة ولكنه يستعملها فى غير موضعها ، ثم ان الكلمة قد تكون ذات مدلولات كثيرة فمن يعين له مكانها الملائم ؟ إن كانت المسألة ألفاظا يعرفها التلميذ فليتناول معجما من المعاجم ويحفظ كلماته ، ولكن المسألة مسألة الجملة والتعبير

أما مسألة الشخصية التى يحرصون عليها كل الحرص فلا خوف عليها ألبتة . من أين يأخذ التلميذ عباراته . يقولون: مما يقرأ . وهل اخترع المدرس العبارات اختراعاً أو قرأ كذلك . وهل لا يخشى على التلميذ من فناء شخصيته فى الكتب التى يقرأها .

إن القراءة عامل مهم جداً فى الانشاء لا ينكره أحد ، ولكن للأسف قلما يجد التلميذ أمامه كتابا يعانى الموضوع الذى يكتب فيه . ثم هبوا المعلم كتابا يقرأه تلاميذ الفصل فى الموضوع الذى يحتاجون فيه الى الكلمة المناسبة والعبارة الطلية والفكرة الواضحة . ان مهمة المعلم أن يحبب التلميذ فى اللغة، وأسلوبه فى التدريس وفى معالجة الموضوع وفى التعبير عنه هو الذى يحبب التلميذ فى اللغة .

يقول Low و Briggs فى كتابهما مقرر الدراسة الثانوية الانجليزية : « حينما يتمكن التلميذ من تذليل صعوبات القواعد لا بدأن يدرس نماذج الموضوعات. ويجب أن يتعلم من المدرس المختص ، ان لاعب كرة القدم الذى لا يتلقن عن أساتذه فنه ويترك لاجتهاده لن يكون الا لاعبا رديئا » .

ولقد وضع هذا الأستاذان فى كتابهما أكثر من ثلثمائة موضوع بعضها معالجة عناصره وبعضها له نماذج يحتذيها التلميذ ويدرسها . وهناك غير كتابهما عشرات الكتب فى الانجليزية وغيرها من اللغات .

إن مثل العبارات كمثل النقود يملكها كل انسان، ولكن لكل وجهة فى استعمالها وطريقة فى انفاقها ، فلا خوف على شخصية التلميذ العزيزة، ان أمام التلميذ فرصا كثيرة لاظهار شخصيته الكتابية فى الموضوعات التى يعطيها المدرس قصد الاختبار ، وفى امتحانات الفترات وآخر العام . أما فى درس الانشاء فقد جاء ليتعلم وليتزود، فليحفظ عن أساتذته خير له من أن يحتطب من هنا وهناك دون تمييز بين الغث والسمين ودون معرفة صحيحة باستعمال الكلمات ومواضعها .

ان كبار الكتاب ما برعوا فى الكتابة الا بالحفظ والأخذ عن غيرهم . ويقول المؤلفان السابقان : ان مدارس أمريكا تلزم كل تلميذ بأن يكون معه دفتر خاص يدون فيه الطرائف الأدبية والعبارات الجميلة التى تأتى فى الدروس المختلفة ، وعلى مدرس اللغة أن يختبرهم فى حفظها عن ظهر قلب . ويقولان : ان ستيفنسن الكاتب

الانجليزى المشهور كان يحفظ موضوعات عن ظهر قلب ثم يحاول كتابتها من ذاكرته بعد ذلك. وبهذا استطاع أن يتملك زمام اللغة. وقصة أبى نواس ووالبة بن الحباب مشهورة اذ طلب منه أن يحفظ آلافا من الأبيات الشعرية قبل أن يقدم على قول الشعر، ثم طلب منه أن ينساها حتى تواتيه معانيها ولا تواتيه ألفاظها، وشخصية أبى نواس لم تختلط بغيرها كما نعلم.

انى أقول دون تردد: لو استطاع التلميذ أن يحفظ كل عبارات أستاذه فى موضوع من الموضوعات عن ظهر قلب، ويحضر الموضوع بعد ذلك فى البيت ويضيف اليه من عنده ومن قراءته ما شاء، فاذا أتى ميعاد كتابته استعان بذاكرته وحدها، كان ذلك أجدى عليه وأكثر نفعاً.

ان هذه الطريقة تنمى ثروة التلميذ اللغوية وتزوده بأساليب مختارة، وتهذب ذوقه، واذا أجزنا أن يستظهر التلميذ كل ما يفوه به المعلم فى الدروس الأخرى، فلم نحرم عليه ذلك فى درس الانشاء وهو فى أمس الحاجة الى الألفاظ الرصينة القوية والجمل المحبوكة الجيدة والعبارات المتنوعة الراقية؟.

إن هذا الحفظ يقلل من اخطائه اللغوية، اذ يصقل لسانه ويمرنه على النطق الصحيح، واذا كتبها ثبتت فى ذهنه وقد يكتب بعد ذلك كتابة خالية من الأخطاء دون أن يعرف القواعد. ولهذا كان من يحفظ القرآن فى صغره، اذا اتيحت له فرصة طيبة للتعليم، قويم الأسلوب مدركا لروح اللغة.

على اننا لا ننصح بأن نتبع ذلك فى كل درس، بل على المعلم ان يفاجىء تلاميذه بين الفينة والفينة بموضوع يمت الى الموضوعات السابقة بصلة، حتى يهيىء للطالب الفرصة لاستخدام ما وعاه وما لقنه من عبارات وأساليب، ويدع له المجال ليفكر وحده وليمتحن ذكاءه وقوته، ويرى ثمرة جهده مستقلا عن استاذه فيعتز بها اذا برزت فى صورة جذابة ولمس التحسن فى اسلوبه، ويتدارك سقطاته ويقف على مواطن ضعفه فيعالجها، وبهذا يتعاون واستاذه على ارهاف ملكة التعبير عنده، وهو ما ننشده فى درس الانشاء.

ومما ينهض بأساليب الطلبة ويزيد فى ثروتهم الأدبية واللغوية ان يكون لدى كل

منهم دفتر خاص للطرائف الأدبية المستملحة ، والتعابير الدقيقة التى تأتى عفوا فى أثناء درس المطالعة والمحفوظات والأدب، او بالمناسبة: من آية كريمة، او حديث شريف او مثل سائر او بيت شعر جميل او قول بليغ . وسيجد المعلم فى هذا الدفتر عونا له اذا دأب على حث الطلاب على استيعاب ما فيه والاستعانة به فى دروس الانشاء ، على الا يكثر المدرس من هذه الطرائف وإلا ضاق التلميذ بها ذرعا ، وذهبت فائدتها وتعذر على الطلبة استظهارها .

هذا وعلى المدرس ان يحبب تلاميذه فى القراءة ويعودهم إياها ، ولا يمكن ان يحب التلميذ القراءة الا اذا كان ما يقرأه يثير اهتمامه ، ويملك لبه ويقوم بتأدية غرضه ويشعر بالحاجة اليه، ولهذا يجب ان يكون ما يقراه التلميذ متنوعاً: من خرافات وقصص وقطع تمثيلية ، واشعار وقطع وصفية تثير فيه غريزة حب الاستطلاع وتنمى فيه الخيال وتشوقه الى الاستزادة ، ولكن كيف يتسنى لنا ان نقدم للتلميذ الصغير كل ذلك ونجعله فى متناول عقله مع قلة ما يعرفه من الكلمات . هذه هى المشكلة :

لقد أدت الأبحاث العلمية الحديثة فى اللغات الأجنبية الى وضع ثبت بالكلمات الأكثر تداولا، مع إخراج الكلمات العلمية والمصطلحات الفنية . وقد قام بهذا فى الانجليزية Dr Dewey ، وOgden ، و Palmer ولقد استخدم علماء اللغة هذا الثبت خير استخدام فقسموا الكلمات التعليمية أربعة أقسام .

١ ــ الكلمات الضرورية التى تربط بعض الجمل ببعض ، مثل أداة التعريف وأسماء الموصول ، وحروف الجر الخ . . .

٢ ــ كلمات عامة أو ضرورية لتحسين الكلام أو ضبطه مثل : سأل وأجاب وأكد وأقسم الخ . . .

٣ ــ كلمات مستمدة من البيئة الانسانية عامة، أو كلمات تمت إلى النشاط الانسانى الحيوى، مثل النقود والمنزل والطعام .

كلمات بيئية خاصة، مثل النخل والمسجد والقرش فى مصر مثلا .

ووضعوا كتبا على طريقة علمية فنية مستخدمين فيها هذه الكلمات بطريقة تجعل من السهل على التلميذ حفظ كلمات جديدة تأتى له فى خلال المادة التى يقرأها ويفهمها .

ولكن أنى لنا بمن يقوم بمثل هذا فى لغتنا . وما دمنا فقراء من هذه الناحيه فلا أقل من أن نرشد التلاميذ إلى الكتب القليلة التى بين أيدينا والتى تناسب أعمارهم ومعلوماتهم وتفتح شهيتهم للقراءة وترقيهم فيها ؛ لأنها عامل عظيم الأثر فى أساليبهم وسعة مادتهم، وتنظيم عقولهم، وإغزار فكرهم .

إن الأدب الخليع والقصص الوضيع والمجلات التى لا تراعى الأخلاق الفاضلة أو الآداب العالية قد طغت وأولى بنا أن نبعد سمومها وشرورها وما فيها من ركة فى العبارات، والتواء فى الأسلوب، وابتذال فى اللفظ عن تلاميذنا .

وما دمنا بصدد الأسلوب، فهناك من يدعو إلى التعبير عن المعنى بأى عبارة كانت ما دامت تفهم المقصود وتتمشى مع قواعد اللغة . ويتساءلون: لماذا نعلم الطالب كلمة الحيف ما دام يعرف كلمة الظلم ؟ ولماذا نقول: برزت الغزالة من خدرها ولا نقول طلعت الشمس ؟ لست أدرى كيف أجيب هؤلاء ؟ أأقول لهم: إن الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز قال « والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس » ولم يقل والليل إذا أظلم والصبح إذا ظهر . لا أجد أحسن مما قال الزيات: « لم يقل أحد غير كتاب آخر الزمان إن البلاغة هى الفكرة . وأن البليغ هو المفكر ، وفيما سلف من العهود التى صحت فيها القرائح وسلمت الأذواق كان الرجل ينصرف عن الكتابة أو الشعر إذا لم يجد فى طبعه براعة الأداء ولا فى نفسه ملكة الفن .

إنما يحاجك فى العناية بالأسلوب من اضطر إلى مزاولة الكتابة وهو مدفوع عن البلاغة بوهن سليقته وجفاء طبعه . ولهم فى الحجاج رقاعات سبيلك أن تسلم بها لتسلم منها . يقولون مثلا : إن الناس يتكلمون ليفهم الشاهد ، ويكتبون ليفهم الغائب، فلماذا لا نكتب مثل ما نتكلم ؟ لماذا تؤثر أن يقال : وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا على أن يقال : كبرت سنى وشاب رأسى ، والجملتان الأخيرتان أخصر لفظا وأيسر فهما » ؟

ويقول : « إن الذين آمنوا بالصياغة ودعوا اليها كانوا أفهم لمعنى البلاغة من الذين كفروا بها وازدروا عنها . ذلك لأن تجويد الصور يستلزم تجويد الفكر وليس بذلك العكس . والعناية الدقيقة بالعبارة سبيل إلى إجادة التفكير وإحسان

التخيل » لقد ضرب الزيات فى مقاله هـــذا أمثلة كثيرة لأدباء الغرب الذين عنوا بالأسلوب ودفاعهم عنه وعندى أمثلة كثيرة كذلك ، وإنما يعنينا هنا الطالب الذى نعلمه، فأخذه بالطريقة التى يدعون اليها ان يرتقى به إلى المستوى الأدبى وقد يغريه باستعمال كلمات مبتذلة وأساليب ركيكة ، ثم إن الطالب فى حاجة إلى اللفظ أكثر من حاجته إلى المعنى؛ إذ يستقى المعانى من مصادر متباينة : من الحياة العامة ، ومن الدروس الأخرى، ومن الصحف وغيرها ، ولكن اللفظ المحكم القوى والأسلوب الرشيق الذى يكسب إنشاءه طلاوة ويهذب ذوقه الأدبى ويبعث فيه الطموح إلى الوصول اليه ويزوده بذخيرة يلجأ اليها حين يريد التعبير عن أى معنى يعترضه هو ما يرمى اليه درس الانشاء أولا .

ويقول Low وبرجس فى كتابهما المتقدم الذكر عند الكلام عن الأسلوب : « إن التلميذ الذى قرأ الفصول المتقدمة من هذا الكتاب فى إمكانه أن يكتب كتابة صحيحة، ولكن التلميذ الطموح يود أن يخطو خطوة أخرى . فعليه أن يسر نا بأسلوبه كما يخبرنا بمعلوماته ، ان الصانع الذى يخرج لنا الأدوات التى نستعملها فى كل وقت يبذل بعض المحاولات ليسر نا بشكلها ولونها » ويقولان : « ان كبار الكتاب لهم فى كتاباتهم صفات تجعلها جيدة وسجلت لها الخلود ويجب أن يراعى التلميذ هذه الصفات العامة حتى يستطيع أن يحسن أسلوبه وهذه الصفات هى :

(١) الاخلاص (٢) الخيال (٣) التركيب (٤) الجمال والصقل .

فالصدق أساس كل فن ، فعليه أن يكتب ما يعتقد ، وعليه أن يعمل على تنمية خياله ليرتفع عن مستوى هؤلاء الذين يسردون الحوادث سرداً، ويقولان : حتى الكتابة فى العلوم البحتة والتاريخ تحتاج الى شىء من الخيال ، ويقصدان بالتركيب الجمل وعلاقتها بعضها ببعض والفقرات ، وأن يكون أول الموضوع كآخرة ، فالموضوع كالبناء لا بد أن يكون فيه تناسب . وأن يكون متماسكا بعضه ببعض .

عمر الدسوقى
معهد التربية للمعلمات